﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ [الأحقاف: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

استخلاصُ الموعظة من أحداث القصَّة

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة ما وقع لعاد من سوءِ المصير؛ أتبع ذلك بتخويف أهلِ مكَّة ممّا حصل لهم بأنَّه يجري عليهم ما جرى لهم[1]، فهو "استخلاصٌ لموعظة المشركين بمثل عاد؛ ليعلموا أنَّ الَّذي قدر على إهلاك عاد قادر على إهلاك من هم دونهم في القوَّة والعدد"[2]، ثمَّ أتبع ذلك ببيان علَّة عدم إغناء ما أنعم به عليهم من القوَّة والحواس، فقال: ﴿إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، فنالوا الجزاء بتكذيبهم رسل الله، وإنكار آياته[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَكَّنَّٰهُمۡ﴾: (مكن) أصلٌ يدلُّ على رسوخ الشَّيء، ومنه المَكِنَة والتَّمكُّن، يُقال: مكَّنه من الشَّيء، ومكَّن له: جعل له عليه سلطانًا، وقدَّره، والتَّمكين من الشَّيء هو: إنالة ما يصحُّ به الفعل من الآلات والقوى[4]، والمكِنَةُ: التَّمكُّنُ، تقول العربُ: إنَّ بَنِي فُلانٍ لَذو مَكِنَةٍ مِنَ السُّلطانِ، أي: ذو تمكُّنٍ، وأمكنني الأمرُ يُمْكِنُني، فهو أمْرٌ مُمكِنٌ، ويقالُ: لا يُمكِنُكَ الصُّعودُ إلى هذا الجبل[5]، وأمْكَنَ

(1) الواحدي، البسيط: 20/ 195.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 51.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 33.
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (مكن).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (مكن).

الشَّيءُ، فهو مُمْكِنٌ ومَكِينٌ، ومنه الإمكانُ والتَّمكينُ، وفلانٌ ذو مَكِنَةٍ من هذا الأمرِ، أي: ذو مَكانَةٍ واستِمكانٍ[1]، وقوله تعالى: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 6]، أي: ملَّكناهم، وجعلناهم متمكِّنين من المكان الَّذي ولَّيناهم إيّاه، أي: قوَّيناهم، من تمكُّن فلان من كذا؛ إذا قدر عليه، وأطاقه، والمراد به في الآية الكريمة: إعطاء القدرة والقوَّة[2].

2) ﴿يَجْحَدُونَ﴾: (جحد) أصل يدلُّ على قلَّة الخير، يُقال: عامٌ جحْدٌ: قليلُ المطر، ومن هذا الباب الجحود، وهو ضدُّ الإقرار، ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنَّه صحيح[3]، فالجحود ضدُّ الإقرار، كما أنَّ الإنكار ضدُّ المعرفة[4]، وهو إنكار مع العِلم[5]، وذلك بأن ينفي ما في القلب إثباته، وثبت ما في القلب نفيه، قال ﷻ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14][6]، ومنه جُحود النِّعمة، أي: كُفرانها، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّـهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل: 71][7]، والمراد به في الآية الكريمة: إنكار آياتِ اللّه تعالى[8].

3) ﴿وَحَاقَ﴾: (حيق) أصلٌ يدلُّ على نُزولِ الشَّيءِ بِالشَّيءِ[9]، والحَيْقُ: ما حاقَ بالإنسان من مَكْرٍ أو سوءٍ، قد أحاقَ اللّهُ بهم مَكْرَهم[10]، وحاقَ بِهِ الشَّيءُ يَحِيق حَيْقًا: نزَل به، وأحاطَ به، وهو أن يَشتَمِلَ عَلى الإنسان عاقبةُ مَكروهٍ فَعَلَهُ، وفي التَّنزيل: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: 10]، أي: أحاط بِهِمُ العَذابُ الَّذي هوَ جَزاءُ ما كانوا يستهزئون، (حاقَ بِهِمُ العذابُ)، أي: أحاط بِهِم، ونَزَلَ كأنَّه وجَبَ عَلَيهِم[11]، والأصل: يحقِّق، فأبدل أحد المضعَّفين حرف علَّةٍ، وحاق به الأمر، أي: لزمه، ووجب عليه[12]، والمراد به في الآية الكريمة: نزل العذاب، وأحاط بهم[13].

(1) ابن عبّاد، المحيط في اللغة: (مكن).
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (مكن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جحد).
(4) الخليل، العين: (جحد).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (جحد).
(6) الراغب، المفردات: (جحد).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (جحد).
(8) السمعاني، تفسير السمعاني: 5/ 161.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حيق).
(10) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللغة: (مكن).
(11) ابن منظور، لسان العرب: (حيق).
(12) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حيق).
(13) السمعاني، تفسير السمعاني: 5/ 161، والقنوجي، فتح البيان: 13/ 34.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عند الجحدِ بالآياتِ الشَّرعيَّة يقع التَّدمير بالآياتِ الكونيّة

يقول الله تعالى: لأنّا قد مكَّنّا لعاد؛ فقد فتحنا عليهم أبواب النِّعم، فأعطيناهم سمعًا، فما استعملوه في سماع الأدلَّة؛ ليعتبروا، ويتذكَّروا، وقد أعطيناهم أبصارًا؛ ليروا بدائع خلق الله، فيتأمَّلوا ما فيها من العِبَر، وأعطيناهم قلوبًا؛ ليفقهوا حكمة الله في خَلْقِه، فلم ينتفعوا بها لطلب معرفة ربِّهم وما يقرِّبهم منه، بل صرفوا ذلك في طلب الدُّنيا ولذّاتها، فلا جرم أنَّهم لم تغنِ تلك الحواسُّ عنهم شيئًا من عذاب الله تعالى[1]، وذلك لأنَّهم كانوا يكذِّبون بحجج الله، وينكرون آياته، فنزل بهم العذاب الَّذي استعجلوه، وأحاط بهم، ووجب لهم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نوع الواو ودلالتها:

مقصدُ قصصِ الهالكين عظةُ السّامعين

افتتح النَّظم الجليل الجملة بالواو في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾، وهي هنا استئنافيَّة[3]، فالجملة مستأنفة سيقت لاستخلاص الموعظة من قصَّة عاد، فهو إعلام للمشركين من العرب بأنَّ الَّذي أهلك عادًا قادر على إهلاك من هم دونهم في القوَّة والعدد[4]، وتحتمل أن تكونَ الواوُ حاليَّةً، والتَّقدير: أصبحوا لا يُرى منهم أحد، والحال أنّا وعزَّتنا قد مكَّناهم في الأرض[5].

بلاغةُ القسم وتقدير المحذوف:

هلاك القوم مع مكنتهم شأنٌ عجيب

عبَّر النَّظم الجليل بأسلوب القسم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾، أي: والله يا أهل مكَّة لقد مكَّناهم،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 26، والهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 72.
(2) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 505.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 84.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 51.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 171، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 51.

وأقدرناهم في أمور لم نمكِّنكم فيها، والمراد من القسم تأكيد الخبر والمبالغة فيه[1]، وإنَّما دلَّ على المبالغة في الخبر للتَّعجيب منه؛ إذ إنَّه لا شكَّ في وقوع إهلاك عاد[2].

نكتةُ استعمالِ مفردة ﴿مَكَّنَّٰهُمْ﴾:

التَّمكينُ إعطاء القدرة، فهو أبلغ من مطلق الاستخلاف

آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بالتَّمكين في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ دون الاستخلاف؛ لأنَّ المراد من التَّمكين بيان قدرتهم وتوفُّر أسباب القوَّة، فهو يدلُّ على إعطاء المَكِنة، وهي القدرة والقوَّة، أي: جعلنا لهم القدرة في الَّذي لم نمكِّنكم فيه[3]، فالتَّمكين دليل على القوَّة والقدرة بالفعل، بخلاف الاستخلاف فإنَّ الأممَ فيها قابليَّة الاستخلاف، لكن ليس كلُّ مستخلَفٍ في الأرضِ مقتدرًا ومتمكِّنًا.

بلاغةُ حرف الظَّرفيَّة:

قدرةٌ عادٍ مستقرَّة في كلِّ ما يلزم الحياة

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ (في) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾، وهو دالٌّ على الظَّرفيَّة المجازيَّة؛ لبيان موضع قدرتهم وتمكُّنهم، أي: كثرة المال وقوَّة والأبدان وطول العمر وغيرها[4]، فبيَّن ذلك أنَّ قدرتهم قد شملت كلَّ سبب من أسباب العمار وازدهار الحياة.

نوع (ما) ودلالة استعمالها:

عبَّر النَّظم الجليل بالاسم الموصول (ما) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾، أي: في الَّذي لم نمكِّنكم فيه[5]، وإنَّما آثره على غيره؛ لدلالته على العموم، فيشمل كلَّ سبب من أسباب التَّمكين والقوَّة.

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 323.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 52.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 52.
(4) القنوجي، فتح البيان: 13/ 33.
(5) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.

نوع ﴿إن﴾ وعلّة استعمالها:

تحسينُ الألفاظ بـترك مـا فيه تكرار من سمات البلاغة

عبَّر النَّظم الجليل بـ ﴿إن﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾، وهي هنا نافية، أي: في الَّذي ما مكَّناكم فيه، وإنَّما آثرها النَّظم الجليل دون (ما)؛ لأنَّها أحسن لفظًا في هذا الموضع، وذلك لكراهة تكرار (ما)، فلم يقل: (فيما ما مكَّناكم)[1]، ومثل هذا التَّكرار يستبشع في لغة العرب، ومن ذلك أنَّهم عمدوا إلى قلب الألف إلى هاء في (مهما)؛ إذ إنَّ أصلها (ماما)[2]، مركَّبة من (ما) الظَّرفيَّة و(ما) الزّائدة لإفادة الشَّرط، مثل (أينما)[3].

بلاغةُ الطِّباق في لفظ التَّمكين:

لا يغترَّ أحد بما مكَّنه الله فيه، والأمثال حاضرة

جمع النَّظم الجليل بين لفظين دالّين على التَّمكين في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ على طريقة محسِّنِ طباق السَّلب؛ وذلك لتأكيد ذكر التَّمكين، وأنَّه لم ينفعهم لردِّ العذاب عنهم؛ إذ كفروا بآيات الله تعالى، وجحدوا بها.

بلاغةُ استعمالِ حرف الظَّرفيَّة ﴿فِيهِ﴾:

تفصيلُ التَّمكين بالموجودات أدلُّ عـلى المـماثـلـة بـين الـهـالـكين والمستمعين

استعمل النَّظم الجليلُ حرفَ الجرِّ (في) الدّالَّ على الظَّرفيَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾؛ للدَّلالة على تعدية فعل التَّمكين إلى ما تمكَّنت منه عاد، أي: "مكَّناكم في مثله أو في نوعه، فإنَّ الأجناس والأنواع من الذَّوات حقائق معنويَّة لا تتغيَّر مواهبها، وإنَّما تختلف بوجودها في الجزئيّات، فلذلك حسن تعدية فعل مكَّناكم بحرف الظَّرفيَّة إلى ضمير اسم الموصول الصّادق على الأمور، الَّتي مُكِّنت منها عادٌ"[4].

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 308.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 304.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 53.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 52.

تعيينُ مرجع الضَّمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾:

أعاد النَّظمُ الجليل الضَّميرَ في شبه الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ على الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ﴾، أي: من كلِّ خير ومن أسباب التَّمكين في الأرض[1].

بلاغةُ التَّعريضِ بعطف ﴿وَجَعَلْنَا﴾ على ﴿مَكَّنَّٰهُمْ﴾:

لم ينتفع الهالكون بحواسِّهم، فليحذر السّامعون مصيرهم

عطف النَّظمُ الجليل الجعل على التَّمكين في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾؛ وذلك للدَّلالة على أنَّه لم ينقصهم شيء يحول دون إدراكهم الحقَّ، فبيَّن أنَّهم معاندون مستكبرون، والمراد به التَّعريض بمشركي قريش، أي: إنَّكم لم تنتفعوا بسمعكم وأبصاركم وعقولكم مثلهم، فأنتم وهم سواء، فيوشك أن يكون الجزاء كذلك[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالجعل مادَّة وصيغة:

إذا سقط الانتفاعُ بالخير؛ فقد وقع الاحتجاج بالإهلاكِ

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة الجعل في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾؛ للدَّلالة على الإيجاد، فالفعل (جعل) متعدٍّ إلى مفعول واحد[3]، فمِن نِعَمِ اللّه تعالى عليهم بعد التَّمكين أن جعلهم تامّي الخِلقة، فأوجد فيهم القدرة على السَّمع والبصر والتَّفكير، وجاء التَّعبير بالفعل الماضي؛ للدَّلالة على تحقُّق الجعل ووقوعه، فالمرادُ من ذكرِ جعل السَّمع والأبصار والأفئدة الامتنان بما كان للسّابقين، والتَّعريض بما سيكون للّاحقين، فإنَّ جعْلَ هذه الحواسِّ للبشرِ، له مقصودٌ ظاهر، ومرادٌ بيِّنٌ، فإن لم يقع الانتفاعُ؛ فقد بان الاحتجاجُ.

(1) الواحدي، البسيط: 20/ 195.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 53.
(3) الراغب، المفردات: (جعل).

غرضُ إسناد فعل (جعل) لضمير العظمة:

لا يغفل شكرَ الـواهـب إلّا الجاحد اللّئيم

أسند النَّظم الجليل فعلَ الجعل إلى نون التَّعظيم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾؛ للدَّلالة على تعظيم الجعل والامتنان به، أي: "جعلًا يليق بما زدناهم عليكم من المكنة على ما اقتضته عظمتنا"[1]، ونكتةُ الإسناد زيادة الامتنان، فالجعل الصّادر عن العظيم عظيم، ولا يُهمِل شكرَه إلّا الجاحدُ اللَّئيم.

نوع اللّام ودلالتها:

استعمل النَّظم الجليل حرف الجرِّ (اللّام) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾؛ لبيان العلَّة والغاية، أي: جعل تلك النِّعم لأجلهم، ففيه مزيد امتنانٍ، بجعْلٍ مقصودٍ.

نكتةُ تقديم ﴿لَهُمْ﴾ على المفعول:

تقديمُ المقصود بالجعل أبلغُ في بيان الامتنان

قدَّم النَّظم الجليل شبه الجملة من الجارِّ والمجرور على المفعول به، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾، فلم يقل: (وجعلنا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً لهم) اهتمامًا بالمقدَّم؛ إذ المقصودون بتلك النِّعمة النّاس، كما أنَّ تأخير المفعول به تشويق للسّامع بانتظار بيان ما جُعِل لهم من النِّعم.

نكتةُ ترتيب ذِكر السَّمع فالأبصار فالأفئدة:

تقديمُ الأدوات على الغايات

قدَّم النَّظمُ الجليل السَّمع على الأبصار والأفئدة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾؛ لأنَّه في سياق الإنذار، والإنذار إنَّما يكون بحاسَّة السَّمع، وهو ينبِّه السّامع على الآيات الَّتي يراها بعينه، ويذكِّره بها؛ ليتفكَّر في قلبه وفؤاده[2]، فبدأ بالسَّمع؛ لأنَّه الحاسَّة الأولى الَّتي تكون في إنذارِ النّاس بالآيات الشَّرعيَّة والسَّمعيَّة والنَّقليَّة والعقليَّة، ثمَّ البصر باعتباره الأداة الثّانية في هذا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 172.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 172.

المقام، وهاتان الحاسّتان خادمتان للغاية الكبرى، وهي الأفئدة، فإنَّ الأفئدةَ هي موضع الاعتبارِ، فإنَّ السَّمع والأبصار تغذّيان الفؤاد؛ ليسلك سبيله في الخير أو الشَّرِّ.

نكتةُ تنكير السَّمع والأبصار والأفئدة:

أفاد تنكير هذه النِّعم هنا تفخيمها وتعظيمها؛ لأنَّها تشكِّل نوافذ المعرفة بالنِّسبة إلى الإنسان، وبها يدرك الإنسان معنى الوجود، ويستطيع أن يقوم بنفسه.

نكتةُ إفرادِ السَّمع وجمع الأبصار والأفئدة:

المبصراتُ والمدركات كثيرةٌ بخلافِ المسموعِ، فمصدره واحد

آثر النَّظم الكريم إفراد السَّمع دون ما بعده من الأبصار والأفئدة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾؛ وذلك لأنَّه "لا يدرك به إلّا الصَّوت، وما يتبعه بخلاف البصر؛ حيث يدرك به أشياء كثيرة، بعضها بالذّات، وبعضها بالواسطة، والفؤاد يعمُّ إدراكه كلَّ شيء"[1]، فالمبصرات والمدركات كثيرةٌ، بخلاف السَّمع، فإنَّه يُسمع ضمن مصدر واحد، وقد أُلمِح إلى توجيهٍ لفظيٍّ، وهو أنَّ "إفراد السَّمع وجمع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفَّة أحد اللَّفظين مفردًا، والآخر مجموعًا عند اقترانهما، فإنَّ في انتظام الحروف والحركات والسَّكنات في تنقُّل اللِّسان سرًّا عجيبًا من فصاحة كلام القرآن المعبِّر عنها بالنَّظم"[2]، فتجاورُ لفظٍ مفرد مع آخر مجموع أخفُّ لفظًا من اقترانهما مجموعين.

فائدةُ استعمال الأفئدة دون القلوب:

القلبُ الاسمُ العَلَم، والفؤاد آلةُ الإدراكِ المتوقِّدة

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفؤاد دون القلب في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾؛ وذلك أنَّ القلب هو الاسم العلم على أداة الإدراك، والفؤاد يدلُّ على القلب مع زيادة، وذلك أنَّه يقال

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 47.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 234.

للقلب: فؤاد؛ إذا اعتُبِر فيه معنى التَّفَؤُّدِ، أي: التَّوقُّد، يقال: فَأَدْتُ اللَّحمَ: شَوَيْتُهُ، ولحم فَئِيدٌ: مشويٌّ[1]، فذكره هنا؛ لأنَّه في سياق إقامة الحجَّة والتَّمكين على الفهم وإدراك الحقِّ، فهو أنسب أن يكون المذكور ممّا يتحقَّق فيه الفهم لتوقُّده، فقد جعل لهم أفئدةً ينطلقون منها لفهم المدركات، لا مجرَّد قلوبٍ باردة هامدة.

نوع الفاء ودلالتها:

إنَّما وُجِدت الحواسُّ للاهتداء والعلم والاستدلال الحقِّ

افتتح النَّظم الجليل الجملة بالفاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾، وهي هنا عاطفة، عطفت الجملة على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾[2]، فلمّا ذكر وسائل العلم والمعرفة والإدراك؛ أتبعه بذكر عدم انتفاعهم بها.

نكتةُ استعمال (ما) النافية:

عدمُ الانتفاع من الحواسِّ صفة مؤكَّدة في الضّالّين

آثر النَّظمُ الكريم نفي الماضي بـ (ما) في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾، فلم يقل: (فلم يغنِ عنهم سمعهم)؛ لأنَّ نفي الماضي بـ (ما) يدلُّ على التَّأكيد، قال سيبويه: "وإذا قال: لقد فعل؛ فإنَّ نفيه (ما فعل)؛ لأنَّه كأنَّه قال: واللَّه لقد فعل، فقال: واللَّه ما فعل"[3]، فلمّا جعلها جوابًا لـ (قد)، و(قد) فيها معنى التَّأكيد، فكذلك ما كان جوابًا لها[4]، فنفى الإغناء عنهم نفيًا مؤكَّدًا؛ لأنَّ مطلق وجود الحاسَّة لا يكفي في الانتفاع بها.

دلالةُ استعمال مفردة ﴿أَغۡنَىٰ﴾:

لم يكفِ الكافر سمعه وبصره بتحقيق الإيمان والنَّجاة من العذاب

استعمل النَّظم الجليل مفردة الإغناء في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ

(1) الراغب، المفردات: (فأد).
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 84.
(3) سيبويه، الكتاب: 3/ 117، وأي: إنَّها تأتي في جواب القسم المفيد للتوكيد، وبه اكتسبت معنى التوكيد.
(4) السّيوطي، الإتقان: 2/ 289.

﴿أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾؛ للدَّلالة على انتفاء الكفاية[1]، فلمّا لم ينتفعوا بحواسِّهم؛ فقد انتفت كفايتها عنهم، فلم تدفع عنهم العذاب؛ إذ لم يستعملوها في استماع الوحي، ومواعظ الرُّسل، فكانت كأنَّها لم تكن[2].

دلالةُ حرف (عن):

ما جاوزوا الجهل مع حوزهم أسباب العلم من الحواسّ

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ (عن) في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾، وهو دالٌّ على المجاوزة، وإنَّما جيء به هنا؛ لأنَّ تعدية الإغناء بـ (عن) يدلُّ على الكفاية، فيقال: أغْنَى عنه كذا؛ إذا كفاه[3]، فالحواسُّ لم تدفع عنهم الجهل، فلم يبتعدوا عنه إلى العلم والإدراك الَّذي يقود إلى الهدى.

نكتةُ تقديم ﴿عَنْهُمْ﴾ على المسند إليه:

تقديمُ المقصود بالسّياق؛ للتَّنبيه عليه والاهتمام به

قدَّم النَّظم الجليل شبه الجملة على المسند إليه، في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم﴾؛ اهتمامًا بالمتحدَّثِ عنه، وهو الضَّمير العائد على عاد، فإنَّ السّياق في الحديث عنهم، والحواسُّ المذكورة تبعٌ لهم.

نكتةُ إضافةِ السَّمع والأبصار والأفئدة إلى ضمير الجمع:

انتفاءُ الانتفاعِ عن الضّالّين تبكيتٌ للمخاطَبين المعرضين

أضاف النَّظمُ الجليل السَّمع وما بعده إلى ضمير الجمع في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم جميعًا لم ينتفعوا بذلك، فالنَّفي يتناول أفرادهم فردًا فردًا، وقد جاءت الإضافة بمعنى اللّام، أي: سمْعٌ لهم أوتوه؛ لينتفعوا به في النَّجاةِ من العذاب، فما أغنى عنهم شيئًا، ففي الإضافةِ مزيد تبكيتٍ وتقريعٍ لهم.

(1) الراغب، المفردات: (غنى).
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 72.
(3) الراغب، المفردات: (غنى).

غرضُ تكرار (لا) النافية:

تـأكـيـدُ نـفـي الإغـنـاءِ عـن جميعِ الحواسّ

كرَّر النَّظمُ الجليل حرف النَّفي في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾؛ وذلك للدَّلالة على تأكيد النَّفي[1]، وذلك أنَّه يسلِّط النَّفي على كلٍّ واحد من المذكورات على وجه الاستقلال.

بلاغةُ الإطنابِ بإظهارِ ما حقُّه الإضمار:

التَّعريضُ بمن غفلَ عن الاعتبارِ بـأدواتِ بلـوغِ الاهتداء

كرَّر النَّظمُ الجليل ذِكرَ لفظ السَّمع والأبصار والأفئدة في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم﴾ دون إضمارها؛ لتعود على السّابق: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾، فلم يقل: (فما أغنت عنهم)؛ لتأكيدِ انتفاء الانتفاع بها، بتكرارِ سبب الإيصال إلى النَّجاة، فلمّا ذكرها ابتداءً على وجه الإنعام بها؛ أعاد ذكرها لنفي كفايتها عنهم، وإشارة إلى أنَّها جديرة بإحداث الاتِّعاظ والاهتداء، ومع ذلك لم تدفع عنهم العذاب، ففيه تعريضٌ بمَن لم يُعملوا أدوات اهتدائهم؛ للوصولِ إلى حقيقةِ نجاتهم.

نوع ﴿مِّن﴾ وفائدتها:

استعمل النَّظم الكريم حرف ﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾؛ لتأكيد النَّفي وللتَّنصيص على الاستغراق، أي: لم تغنِ عنهم شيئًا من الإغناء[2].

نكتةُ تنكير لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾:

عـنـد غـيـابِ الإيـمـانِ يغيبُ معه الانتفاع

نُكِّر لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾؛ للدَّلالة على الشُّمول والعموم؛ لكونه نكرة في سياق النَّفي، أي: لم تغنِ عنهم أيَّ شيء من الإغناء[3]، فتشملُ الأشياءَ المعهودة في هذا المقام، وغير المعهودة.

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 48.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 87.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 87.

دلالةُ التَّعليل في الظَّرف ﴿إِذْ﴾:

الجحودُ بالآيات علَّة إبطال الانتفاع بالحواس

استعمل النَّظم الكريم الظَّرف ﴿إِذْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ للدَّلالة على التَّعليل، فإنَّ ظرفَ ﴿إِذْ﴾ يُستعمل للتَّعليل، وجرى الظَّرف مجرى التَّعليل؛ "لاستواء مؤدّى التَّعليل والظَّرف في قولك: ضربتُه لإساءته، وضربتُه؛ إذا أساء؛ لأنَّك إذا ضربته في وقت إساءته؛ فإنَّما ضربته فيه لوجود إساءته فيه، إلّا أنَّ (إذ، وحيث)، غُلِّبتا دون سائر الظُّروف في ذلك"[1]، فالحكم مترتِّب على ما أُضيف إليه الظَّرف، فإنَّما لم تغنِ عنهم تلك الحواس؛ لأنَّهم كانوا يجحدون بآيات الله[2].

نكتةُ ذِكر فعل ﴿كَانُواْ﴾:

الجحودُ ديدَن المُكذِّبين ومهيع المعرضين

آثر النَّظم الكريم ذِكرَ فعل الكون في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ دون أن يقول: (إذ جحدوا بآيات الله)؛ وذلك للدَّلالة على رسوخ الكفر بهم، وإصرارهم عليه، حتّى كأنَّهم خُلقوا متَّصفين به، فصار موجودًا فيهم منذُ زمان وجودهم، ولبيان أنَّ الجحودَ ديدنهم الَّذي استمرّوا عليه في حياتِهم.

بلاغةُ استعمالِ الجحود مادَّة وصيغة:

الجحودُ إنكارُ ما هو معلوم عنادًا وكفرًا

آثر النَّظمُ الجليل استعمال مفردة الجحود في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم أنكروا ما يجب الاعتراف به، فالجحود هو إنكارٌ مع علمٍ لحقيقةِ الأمر، فالجحود هو "نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه"[3]، وجاء التَّعبير بصيغة المضارع؛ لأنَّهم كانوا يكرِّرون جحودهم على مرِّ الزَّمان[4]، وهو ما يتلاءم، ويتناسب مع ذكر ﴿كَانُواْ﴾ من الدَّلالة على الاستمراريَّة في العنادِ.

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 309.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 26، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 116.
(3) الراغب، المفردات: (جحد).
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 174.

نوعُ الباء ودلالتها:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ لتوكيد الجحد، أي: أنكروا الحجج والبراهين الدّالَّة على توحيد الملك الأعظم[1]، وتحتمل السَّببية، أي: جحدوا، فكفروا بسبب الحقِّ.

دلالةُ استعمال (آيات) وإضافتها لاسم الجلالة:

الحججُ الظّاهرة شاهدة على الصِّدق ناطقةٌ بالحقِّ

جاء استعمالُ مفردة الآيات في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّها علامات بيِّنة ظاهرة[2]، والتَّعبير عنها بصيغة الجمع؛ للدَّلالة على كثرتها، فالآيات الدّالَّة على التَّوحيد وصِدق النُّبوَّة متضافرة ظاهرة، وإضافتها إلى الاسم الجليل تشريفٌ لها وتعظيمٌ لشأنها، ولبيان ظهورها وكفايتها في إيقاع الفهم لكلِّ أحد، فآيات الله تعالى: هي "دلائل إرادته من معجزات رسولهم ومن البراهين الدّالَّة على صِدق ما دعاهم إليه"[3]، ففيه غناء وكفايةٌ لمن طلب الحقَّ، وأراد الصَّواب.

نوع الواو ودلالتها:

إباءُ الانتفاعِ بالحواسِّ نداءٌ على تحقُّق العذاب

عطف النَّظمُ الجليل جملة: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ على جملة (ما أغنى) في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾[4]، فلمّا نفى الإغناء عنهم لنفي انتفاعهم بالآيات؛ أتبعه ببيان إحاطة العذاب بهم[5]، وهو ما تسبَّب به جحودهم وعدم استعمالهم حواسَّهم؛ لتفهُّم الآيات.

فائدةُ استعمال مفردة (حاق):

تحقُّقُ الإصابة، وشمولُ الإحاطة

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ فعل (حاق) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَحَاقَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 174.
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أيي).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 54.
(4) مجموعة مؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2229.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 54.

بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ للدَّلالة على نزول العذاب وتحقُّق إصابته، ولزومه لهم ووجوبه عليهم[1]، وإحاطة العذاب بهم، وحلوله عليهم[2]، فاجتمع في هذا اللَّفظِ، تحقُّق الإصابة، وشمول الإحاطة.

نوعُ الباء ودلالتها:

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ (الباء)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، وهي هنا دالَّة على السَّببيَّة، أي: ما كانوا بسببه يستهزئون؛ إذ إنكارهم العذاب جعلهم مستهزئين.

نكتةُ تقديم ﴿بِهِم﴾ على المسند إليه:

العنايةُ باختصاص الحدث بأهلِه مزيدُ اعتناءٍ بالمعاني المقصودة

قدَّم النَّظم الجليل شبه الجملة ﴿بِهِم﴾ على المسند إليه، وهو الاسم الموصول ﴿مَّا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ لأنَّ التَّقديم هنا في غاية البلاغة وحسن البيان، فلو جاء على الأصل؛ لقال: (حاق ما كانوا يستهزئون به بهم)، ولا يخفى ما فيها من عسر لفظيٍّ بتجاور المجرورات، كما أنَّ التَّقديم يدلُّ على التَّخصيص، فالعذاب حاق بهم وحدهم على وجه الخصوص.

دلالةُ استعمال ﴿مَّا﴾ الموصوليَّة:

عبَّر النَّظم الجليل بالاسم الموصول ﴿مَّا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ للدَّلالة على تهويل ما حلَّ بهم وتعظيم العذاب، وذلك لما في (ما) من إبهام يدلُّ على التَّفخيم، كما أنَّ التَّعبير بالموصول ينبِّه على ما في حيِّز صلته من سبب استحقاقهم العذاب، فنبَّه به على ضلالهم وسوء نظرهم[3].

نكتةُ ذِكر ﴿كَانُواْ﴾ وتكرارها:

عبَّر النَّظم الجليل بفعل الكون في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حيق).
(2) القنوجي، فتح البيان: 13/ 34.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 54.

﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ للدَّلالة على رسوخ الاستهزاء بهم، وأنَّهم دائمون عليه، لا ينفكّون عنه، كأنَّه صفة خلقيَّة راسخة فيهم[1].

غرضُ تقديم ﴿بِهِۦ﴾ على فعل ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾:

المبالغةُ في الرَّصف تحصر المعنى في بعضِ الوصف

قدَّم النَّظم الجليل شبه الجملة على الفعل في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ دون أن يقول على الأصل: (يستهزئون به)؛ للدَّلالة على تخصيص استهزائهم؛ تأكيدًا له ومبالغة فيه، فكأنَّهم قصدوه بالاستهزاء، وحصروا فعلهم القبيح ذلك به، كما أنَّه تقديم يحافظ على وحدة الفاصلة القرآنيَّة وانتظام نسقها.

نكتةُ استعمالِ الاستهزاء مادَّة وصيغة:

الاستخفافُ بالوعيد دأبُ قصدوه، وطلبوه

عبَّر النَّظم الجليل بالهزْءِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ لدلالته على الاستخفاف، فالاستهزاء بالشَّيء استخفاف به[2]، فدلَّ على أنَّهم لم يأخذوا وعيد هود وإنذاره على محمل الجدِّ، فاستخفّوا به، وجاء التَّعبير بصيغة المضارع؛ للدَّلالة على أنَّهم يوجدون الاستهزاء على سبيل الاستمرار، ودلَّت صيغة الاستفعال على الطَّلب، فهم يطلبون الهزْءَ به، ويتقصَّدونه[3].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الفؤاد والقلب:

القلب الاسم العَلَم، والفؤاد أشدُّ حالات القلب حركةً واشتعالًا

أصل الفؤاد يدلُّ على حُمَّى وشِدَّةِ حَرارَةٍ، والفؤاد سُمِّيَ بذلك لِحَرارَتِهِ[4]، فهو كالقلب لكن يقال له: فُؤادٌ إذا اعتبر فيه معنى التَّفَؤُّدِ، أي: التَّوقُّد، يقال: فَأَدْتُ اللَّحمَ: شَوَيْتُهُ، ولحم فَئِيدٌ: مشويٌّ[5]، والقلب أصله يدلُّ على خالص شيء وشريفه، وقلب الإنسان وغيره،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 174.
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (هزأ).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 174.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فأد).
(5) الراغب، المفردات: (فأد).

سمّي لأنَّه أخلص شيء فيه وأرفعه[1]، وسُمّي به لكثرة تَقَلُّبِه، ويُعبَّر بالقلب عن المعاني، الَّتي تختصُّ به من الرّوح والعلم والشَّجاعة وغير ذلك، وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10]، أي: الأرواح، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: 37]، أي: علم وفهم، وقوله: ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ [الأنفال: 10]، أي: تثبت به شجاعتكم، ويزول خوفكم، وعلى عكسه: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ﴾ [الحشر: 2][2]، فسُمّي القلب فؤادًا من أجل إنضاج الرَّأي، كما سُمّي قلبًا من أجل تقلُّبه، والفؤاد يشير إلى وظيفة إنضاج الرَّأي أو الفكرة أو الاتِّجاه، فقد نُسبت إليه البصيرة في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم: 11]، وعُدَّ من روافد العلم، كما في آية التَّركيب: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: 36]، وطولب بالميل في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الأنعام: 113]، ولذلك عندما ولِهَتْ أمُّ موسى على ولدها، ففقدت القدرة على حسن الرَّأي في أمره؛ عبَّر القرآن عن ذلك بقوله: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ [القصص: 10]، أمّا ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٌ ٤٣﴾ [إبراهيم: 43]؛ فهي تصوير للعجز عن الفقه، ويعبِّر بمثل هذا أيضًا عن الجبن، كما قال: فأنت مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هواء[3].

فالفؤاد أرقُّ، وهو بالعلم والرَّأي أعلق، والقلب أشرف ما في الإنسان سُمّي قلبًا؛ لتقلُّبه بالمعاني والأحوال، وقد آثر النَّظم الكريم التَّعبير في الآية بالأفئدة؛ لأنَّه في سياق ذِكر ما جعل الله تعالى في النّاس من وسائل الإدراك والعلم والمعرفة.

(حاق) و(أحاط):

(حيق) أصلٌ يدلُّ على نُزول الشَّيءِ بِالشَّيءِ[4]، والحَيْقُ: ما حاقَ بالإنسان من مَكْرٍ أو سوءٍ، قد أحاقَ اللهُ بهم مَكْرَهم[5]، وحاقَ بِهِ الشَّيءُ يَحيق حَيقًا: نزل به، وأحاطَ به، وهو أن يَشْتَمِلَ عَلى الإنسان عاقبةُ مَكْروهٍ فَعَلَهُ، وفي التَّنزيل: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الأنعام: 10]، أي: أحاط بِهِمُ العَذابُ الَّذي هو جَزاءُ ما كانوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قلب).
(2) الراغب، المفردات: (قلب).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (فأد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حيق).
(5) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللغة: (مكن).

حاق يدلُّ على نزول العذاب بسبب جرمٍ، والإحاطة تدلُّ على الإهلاك بالقدرة

يستهزِئون[1]، والمراد به في الآية الكريمة: نزل العذاب، وأحاط بهم[2]، أمّا الإحاطةُ؛ فأصلها الشَّيء يطيف بالشَّيء، يقال: حوّطتُ حائطًا[3]، والحائط: الجدار الَّذي يَحوط بالمكان، والإحاطة تقال على وجهين: أحدهما: في الأجسام نحو: أحَطْتُ بمكان كذا، أو تُستعمل في الحفظ نحو: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤﴾ [فصلت: 54]، أي: حافظ له من جميع جهاته[4]، ويُستعمل للدَّلالة على القدرة كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ [البقرة: 19]، ويُعبَّر به عن الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: 42]، وأصله من إحاطة العدوِّ[5]، فعبَّر في الآية بـ (حاق)؛ للدَّلالة على نزول العذاب وحلوله بهم، فهُم كانوا قد استعجلوه، فأخبر عن نزوله، ولم يعبِّر السّياق عن نكرانهم القدرة عليه الَّذي يناسبه التَّعبير بالإحاطة.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (حيق).
(2) السمعاني، تفسير السمعاني: 5/ 161، والقنوجي، فتح البيان: 13/ 34.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حوط).
(4) الراغب، المفردات: (حيط).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حوط).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"